



مقدمة الشارح - حفظه الله

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد :

فقبل البداية في شرح كتاب " نزهة النظر " للحافظ ابن حجر _ يرحمه الله _ لابد من التقديم لبعض القضايا المتعلقة بهذا الشرح :

أولاً : طريقتنا في شرح هذا الكتاب ومدارسته : ستكون _ بإذن الله تعالى _ مختصرة .

ثانياً : غرضنا الأساسي من هذا الشرح : هو توضيح نزهة النظر ، وأن يخرج الطالب ؛ وقد عرّف رأي الحافظ ابن حجر في مسائل هذا العلم واجتهاداته فيه ، ولن نتعرض إلى الاستدراك واعتراضات العلماء على الحافظ ممن جاؤوا بعده ، ولا الترجيحات الخاصة بأهل العلم أو بعض طلبة العلم وسيكون شرحنا بإذن الله تعالى كما سلف هو : بيان النزهة فقط ؛ إلا في أحوال نادرة إذا اضطررنا لبيان خلاف أو راجح أو ما إلى ذلك ، عندها نبين بإذن الله تعالى الراجح في المسألة أو الخلاف إن كان هناك خلاف .

والمقصود من ذلك : هو أن يكون هذا الدرس مقدمةً ومدخلاً لطالب العلم ؛ ليتمكن بعدها أن يقرأ كتب علوم الحديث التي فيها شيء من التوسع والطول ، ويكون قد أدرك مجمل هذا العلم بصورة واضحة وجيدة ، ويمكنه بعد ذلك النظر في الأقوال

المختلفة والآراء المختلفة والترجيح بين الأدلة ومناقشة الآراء ، فلا بد وأن يكون عند طالب العلم قبل الدخول في الاختلافات والترجيح بين الأدلة : أن يكون عنده قاعدة صلبة يمكن أن يعتمد عليها قبل الدخول في مضائق هذا العلم ، وفي اختلافاته ، وآراء العلماء فيه . وقد قدّمْتُ لهذا الشرح بثلاث مقدمات ممهّدات له :

المقدمة الأولى : ترجمةٌ للحافظ ابن حجر _ رحمه الله _ ترجمة مختصرة ، فأحد أولِ حقوقِ الحافظ ابن حجر مادام أننا سنستفيع بكتابه : أن نعرف شيئاً من أخبار هذا الإمام العَلمُ : الحافظ ابن حجر _ رحمه الله _ .

المقدمة الثانية : تعريف مختصر بـ " نزہة النظر " من حيث : أسلوبها ، وزمن تأليفها ، واسمها ، ومميزاتها وغير ذلك مما يتعلق بالنزہة .

المقدمة الثالثة : ذكر إسنادي إلى الحافظ ابن حجر : المتصل الصحيح بالنزہة ؛ حتى يمكن لكم بعد ذلك أن ترووا النزہة _ بإذن الله تعالى _ بالإسناد الصحيح المتصل إلى الحافظ ابن حجر _ رحمه الله _ .

المقدمة الأولى : { ترجمة الحافظ ابن حجر يرحمه الله }

أولاً : اسمه ونسبه ولقبه : هو الإمام الحافظ ، خاتمة الحفاظ ، وإمام المحدثين في زمانه : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناي ، قبيلته العسقلاني أصلاً ، أي : أنه من مدينة عسقلان وهي مدينة في فلسطين ، أصله من عسقلان ؛ ولكن مولده ونشأته وحياته ووفاته كانت في مصر- ، فهو مصري المولد والنشأة والحياة والوفاة .

ثانياً : ولادته ووفاته : وُلد هذا الإمام سنة (٧٧٣) هـ ، وتوفي سنة (٨٥٢) أي : أنه عاش (٧٩) سنةً ، هذا عمره .

ثالثاً : صفاته الخَلْقِيَّة : أو كما يعبرُ العلماء : حِلْيَتُهُ ، فالنفسُ تَشَوُّفٌ لمعرفة صورة هؤلاء الأعلام ؛ لأنها تحبهم _ ولاشك _ وتتعلق بهم (كان هذا الإمام متوسط الطول يميل إلى القصر ، نحيف الجسم ، أبيضاً مليحاً وسيماً ، ذا لحية كثية بيضاء في أغلبها لمَّا كَبُرَ وشاب _ والواصف له تلميذه السخاوي ولم يَرَهُ إلا لمَّا كبر وشاب _ صغير الفم ، ثابت الأسنان نقيها ، سريع المشي) .


رابعاً : صفاته الخُلُقِيَّة : أخلاقه أخلاق أهل العلم في كل زمان ومكان ؛ ولكنه تميَّز بصورة واضحة في أخلاق معينة ؛ ولذلك نصَّ عليها مُتَرَجِّمُوهُ والعارفون به ، فقد كان _ عليه رحمة الله _ : متواضعاً ، وَرِعاً صَابِطاً للسانه ، وهذا يتبيَّن في تعامله مع من عادوه في حياته ، فالحافظ ابن حجر أُوذِيَ وتُكَلِّمَ فيه في حياته من بعض حاسديه ومن بعض أعداءه ، ومع ذلك ما ازداد إلا كظماً لغيظه وترفعاً عن أن يدخل في السِّبَاب أو الشِّتَام أو معارضة السوء بالسوء ، جواداً كريماً ، وله في باب البرِّ والصدقاتِ : نفقاتٌ عظيمة مشهودة ذكرها المترجمون له في قصص كثيرة ، كان قواماً صَوَّاماً ، ومِمَّا يُذكر عنه أنه حتى في سفره _ وتعرفون السفر في تلك الأيام كيف كان شاقاً _ لم يكن ليترك قيام الليل ؛ حتى في سفره فضلاً عن حضره ، محباً للسنة معظماً لها ، ومن يشك في محبة الحافظ ابن حجر للسنة وتعظيمه لها وهو من أعظم من خدمها وألفَ فيها المؤلفات الكثيرة وأفنى فيها عمره ، وكان منصفاً ، وله في الإنصاف والعدل مواقف متعددة ومشهودة .

خامساً : نَشَأَتُهُ العلميَّة : نشأ هذا الإمام : يَتِيماً ، فقد مات أبواه ولم يكمل الرابعة من عمره ، فكفله أحد العلماء في زمنه وهو : أبو بكر الخُرُوبِي _ يرحمه الله _ فاعتنى

بتعليمه فأدخله الكتّاب وتعلّم ما يتعلّمهُ الصِّغار في تلك السنوات من : القراءة والكتابة ومبادئ العلوم ، وحفظ القرآن كاملاً وله من العمر تسع سنوات ، ومما اتفق لهذا الإمام _ ومن الفأل الحسن الذي وقع له _ أنه : صلى بالناس في مكة لمّا حجّ مع هذا العالم الذي كَفَلَهُ وله من العمر (١٢) سنة فقط ، فصلى بالناس التراويح في رمضان وله من العمر اثنا عشر عاماً ، وكان أول سماعه للحديث وله من العمر أيضاً اثنا عشرة سنة في مكة ، وهذا لعله أيضاً من الفأل الحسن بهذا الإمام ، هذا أول سماعه للحديث ، ولما أكمل أربعة عشر عاماً تُوفي وَصِيَّهُ فلم يجد من يوجهه إلى طلب العلم ، ففتر عن الطلب شيئاً قليلاً _ ثلاث سنوات ، أي : إلى أن أكمل سبعة عشر عاماً _ فلما بلغ هذا العمر ، أي : سبع عشرة عاماً ؛ حُبّبَ إليه : علم التاريخ فأكثر من القراءة فيه ، وتتبع كتبه ومؤلفاته ومصنفاته فما ترك منها شيئاً ، ثم لمّا أكمل تسع عشرة عاماً حُبّبَ : إليه الأدب والشعر ، فما ترك كتاباً من كتب الأدب ولا ديواناً من دواوين الشعراء إلا وطالعه ، وحفظ شيئاً كثيراً من ذلك ؛ حتى كان لا يُذكر بين يديه البيت من الشُّعْرِ إلا وعرف من قائل هذا البيت ؛ بل ويستطيع أن يعرف : السرقات الأدبية _ كما يسمى الآن _ إذا سمع البيت يقول هذا مأخوذاً من البيت الفلاني ، والبيت الفلاني للشاعر الفلاني ، فسبق إلى هذا المعنى من استحضاره للأبيات ولمعاني الأبيات وأساليبها الأدبية ؛ بل بلغ علمه في الأدب إلى أنه أصبح : يُطَارِحُ كبار الأدباء وينظم الشعر الكثير الجيّد ، وله ديوانُ شعرٍ مطبوعٍ للحافظ ابن حجر ، وهو ديوان متوسط يميل إلى الكبر ، ولما أكمل العشرين عاماً : عاد إلى علم الحديث مع انشغاله بالأدب ، عاد يلتفت إلى علم الحديث مرة أخرى ولم يُترك الانشغال بالأدب إلى أن أكمل ثلاثة وعشرين عاماً ؛ عندها : شَمَرَ في الطلب ، وفي طلب الحديث خاصةً أكمل التشمير ، وشدّ لَهُ من عزمه أعظم ما يكون العزم لطلب علم

الحديث والعلوم الشرعية ، ويصف الحافظ ابن حجر نفسه وحاله في ذلك لما أكمل ثلاثة وعشرين عاماً ، فقال عن نفسه واصفاً هذه الفترة _ أي : سنة (٧٢٦) هـ _ قال : (رُفِعَ الْحِجَابُ ، وَفُتِحَ الْبَابُ ، وَأَقْبَلَ الْعَزْمُ الْمُصَوِّمُ عَلَى التَّحْصِيلِ ، وَوَفَّقَ لِلْهُدَايَةِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ) هذا كله كلام الحافظ عن نفسه .

فأخذ عن مشايخ ذلك العصر وقد بقي منهم بقايا ، وواصل العُدُوَّ والرَّوَّاحَ إلى المشايخ بالبواكير والعشايا ، واجتمع بحافظ العصر : (زين الدين أبي الفضل) عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، فلازمه عشر سنوات وتخرج عليه ، وانتفع بملازمته ، فملازمة الحافظ ابن حجر لشيخه العراقي هي _ في الحقيقة _ : نقطة تحوُّلٍ عَظْمَى في حياة الحافظ ابن حجر ؛ حيث هو أجلُّ شيوخه في علم الحديث ، ولازمه هذه الفترة الطويلة ، لازمه عشر سنوات ؛ ابتدأت من سنة : (٧٩٦) هـ ، بعد سنة واحدة من هذه الملازمة _ أي : في سنة (٧٩٧) هـ _ : أجاز الحافظ العراقي الحافظ ابن حجر بالتدريس ، رأى أنه بلغ مرحلة التدريس من سنة واحدة فقط من ملازمته لشيخه العراقي ، وفي هذه الفترة أيضاً تفقه على جماعة من أهل العلم : كبرهان الدين الأبناسي صاحب " الشَّدَا الْفَيَّاح " ، وعمر بن رسلان البلقيني وهو من أجل شيوخه في الفقه ، وعز الدين بن جماعة ، وأذن له البلقيني في الإفتاء مع أن البلقيني توفي سنة : (٨٠٥) هـ ، أي : وللحافظ ابن حجر اثنتان وثلاثون سنة ، وقد أذن له في الإفتاء قبل ذلك .

وللحافظ السخاوي كلامٌ جيدٌ حول شيوخ الحافظ ابن حجر في مختلف الفنون ، ذكرها في كتابٍ كاملٍ خصَّه السخاوي لترجمة الحافظ ابن حجر ، طُبِعَ في ثلاث مجلدات :  " اسمه الجواهرُ والدُّرَرُ في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر " وهو كتابٌ جليلٌ مليءٌ بالفوائد ، وأنصح طلبة العلم بقراءته ؛ لأنه يُبَيِّنُ أقوال هذا الإمام ،

وطلبه للعلم ، وشيوخه ، وكثيراً من الفوائد التي سمعها منه السخاوي _ عليهما رحمة الله _ فيقول السخاوي مبنياً ما اتفق للحافظ ابن حجر من التلمذ على كبار شيوخ عصره ، يقول : **ﷻ** (واجتمع له من الشيوخ الذين يُشار إليهم ويُعوّل في حلّ المشكلات عليهم : ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره ؛ لأن كل واحد منهم كان متبحراً ورأساً في فنه الذي اشتهر به لا يلحق فيه ، فالبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الإطلاع ، وابن الملقن في كثرة التصانيف ، والعراقي في معرفة علم الحديث ومتعلقاته ، والهيتمي في حفظ المتون واستحظارها ، والمجد الشيرازي زميل الفيروز أبادي صاحب " القاموس المحيط " في حفظ اللغة وإطلاعه عليها والغماري في معرفة العربية ومتعلقاتها ؛ وكذا المحب ابن هشام صاحب ابن هشام الإمام النحوي المشهور _ الذي كان حسن التصرف فيها لنفوذ ذكائه _ ، والأبناسي في حسن تعليمه وجودة تفهيمه ، والعز بن جماعة في تفننه في علوم كثيرة ؛ بحيث إنه كان يقول أنا أقرئ في خمسة عشر فناً : لا يعرف علماء عصري أسماءها ، والتنوخي في معرفة القراءات وعلو سنده فيها ، وهم _ أي شيوخه _ مع ذلك في غاية التبجيل لصاحب الترجمة) . شيوخه كانوا في غاية التبجيل له ، ولهم من عبارات الثناء فيه : أعظم عبارات التكريم ، والتحرز عن مخاطبته بغير تعظيم ؛ بل ربما راجعوه للتفهم ، أي : طلبوا منه أن يُفهمهم في بعض المسائل وهم شيوخه .

يقول الحافظ ابن حجر أيضاً ونقل عنه عبارة هنا عن شيوخه ذاكراً الفيروز أبادي صاحب **ﷻ** " القاموس المحيط " يقول : (وهو آخر الرؤوس الذين أدركناهم موتاً) ثم يقول الحافظ : (فإني أدركت على رأس القرن رؤساء في كل فن : كالبلقيني والعراقي والغماري وابن عرفة وابن الملقن والمجد ... إلخ كلامه) .

سادساً: نُخَبُّ من حياته : للحافظ ابن حجر رحلات متعددة ، في بلدان مصر- المتعددة ، ورحل إلى الحجاز مراتٍ ، وإلى اليمن مرات ، ودخل دمشق ومكث بها مدةً ، وحلب ، وطاف بلاد الشام ، وتلقى العلم في هذه البلدان والعواصم الإسلامية المتعددة ، بلغ عدد شيوخه : (٦٢٨) شيخاً _ عليه رحمة الله _ وسمَّاهم هو نفسه في كتابه **المجمع المؤسس** .

وبرَّع في عددٍ من العلوم : في اللغة والنحو والأدب ، والتأريخ ، والأنساب ، والتفسير وعلومه ، والفقه وأصوله ، أضف إلى ذلك : الحديث الذي هو فارس ميدانه ، وواحد زمانه .

سابعاً : من عوامل نبوغه وتميزه :

- العامل الأول : ورعه وتقواه وتواضعه وإنصافه ، وكثرة العبادات .
- العامل الثاني : مواهبه الفطرية ، فقد أوتي الذكاء وجودة الفهم وقوة الحافظة، وله في الحفظ قصصٌ وأخبارٌ متعددة : فيذكرون أنه كان ينظر إلى الصفحة يقرأها أولاً قراءة تصحيح ثم ينظر إليها نظرة متأمل فقط ؛ فيحفظ هذه الصفحة تماماً دون الرجوع إليها مرة أخرى ، وأوتي أيضاً : سرعة القراءة ، وسرعة القراءة : منحة ربانية ، ومن أكثر ما يعين طلبية العلم على طلب العلم : سرعة القراءة وطبعاً سرعة القراءة مع تمام الفهم ، وهذا الذي كان مع الحافظ ابن حجر ، فهذه منحة ربانية تُعين الإنسان على الإكثار من القراءة والاستفادة ، فقد قرأ + المعجم الصغير " للطبراني _ وهو زيادة عن ألف ومائتي حديث أو ألف وثلاث مائة حديث _ بين الظهر والعصر ، وبين الظهر والعصر- كم ساعة تقريباً ..؟ ساعتين ونصف أو ثلاث ساعات يقرأ فيها ألف وثلاث مائة حديث !!

وقرأ في رحلته إلى دمشق _ والتي مكث فيها سبعين يوماً _ قرأ فيها قريباً من مائة مجلد خلال سبعين يوماً فقط ، وكان سريع الكتابة مداوماً عليها ، وهذا ما أعانه على كثرة التصنيف ؛ حتى كان يكتب أكثر من كراسٍ في اليوم ، والكراسُ : نحوَ عشرين صفحة ، هذا يومياً ، فلو ضربناها في أيام السنة في ثلاثين سنة أقل شيء من عمره الحاضر مع ما ابتداء في التصنيف من بواكير حياته ، احسب كم ورقة كتبها طوال عمره تقريباً .؟! حتى أنه كان يكتب أثناء سفره _ كما يقول السخاوي _ من اليمن إلى مكة وهو بالشقدف ، والشقدف : ما كان معروفاً وموجوداً ، مركبٌ من مراكبِ أهل الحجاز ما أشبهه : بالهودج ؛ ولكن كان يركبه الرجال أكثر ؛ والهودج يُطلق على مركب النساء ، والشقدف مركب للرجال ؛ ولكنه على هيئة معينة ، لأبْدُ أن يركب عليه اثنان من اليمين واليسار ، الراكبان يتزاملان ، وكان يكتب حتى أثناء السفر وهو على الإبل .

■ العامل الثالث : مداومته على الطلب وانكبابه عليه ، وهذا ما شهد به الحافظ لنفسه ، وشهد له به شيوخه وتلامذته .

■ العامل الرابع : حسن استغلاله لوقته وتنظيمه له ، وعدم إضاعته لحظةً دون فائدة ، وله في ذلك عبارات وقصصٌ متعددة ، منها : قوله : (إني لأتعجب ممن يجلس خالياً عن الاشتغال) . ومن قصصه اللطيفة في ذلك : أنه توجه مرة إلى المدرسة التي كان يُدرّس فيها ، فوجد الباب مُغلقاً ، وكان قد نسي مفتاح المدرسة في بيته ، والبيتُ بعيدٌ نوعاً ما عن المدرسة ، فطلب نجّاراً : أن يأتي ليصنع مفتاحاً جديداً للمدرسة ، ووقف هو يصلي ، فذهب التلامذة إلى النجار وجاءوا به فعمل مفتاحاً جديداً للمدرسة أثناء صلاة الحافظ ابن حجر ، فلما انتهى قالوا له لو أنك بعثتَ إلى المنزل لكان أقل تكلفةً عليك من أن تدفع للنجار فقال : لكنّ هذا أسرع ، وزيادة مفتاحٍ آخرٍ ينفعنا في وقت آخر ، أي : أن

اللحظات الفارقة في أن يذهب الرجل ويأتي بالمفتاح وبين عمل النجار يجب أن لا تتفاوت ومع ذلك وقف يصلي ، وقف يشغل هذا الوقت في الصلاة والتقرب إلى الله عز وجل .

■ العامل الخامس : توفر الكتب والمراجع لديه ، فقد كان شغوفاً بالكتب إلى حد بعيد جداً ، واقتنى منها شيئاً عظيماً جداً ، أضف إلى ذلك أنه تولى النظارة ، نظارة بعض المدارس وبعض المكتبات العامة الزاخرة بالكتب حينها فانتفع بتلك الذخائر من المؤلفات والمصنفات ، وهذا ظاهرٌ بيّن في مؤلفاته وكثرة المصادر والمراجع التي كان يرجع إليها ، والكتب سلاح طالب العلم .

■ العامل السادس : الأصحاب والرفقة الصالحة المعينة على طلب العلم ، وأيضاً يذكر السخاوي هنا عبارة عن رُفقاء الحافظ ابن حجر يصفهم مبيناً أثرهم على الحافظ ابن حجر في حسن الطلب وتمام الطلب والمرتبة التي بلغها الحافظ ابن حجر ، فيقول مبيناً بعض العوامل التي أعانت الحافظ على بلوغ ما بلغه من العلم يقول : (ومنها : الرفاق الذين كانوا غاية في الديانة والتواضع ، والاعتناء بالشأن ، والاهتمام بفنونه ، والبعد عن التوغل في الغل والحسد والكتمان وتكرّر ذكر ما يقتضي الامتنان ؛ فذا يُعين رفيقه مرة في القراءة ، ومرة في الكتابة ، يقرأ أحدهم للآخر ويكتب أحدهم للآخر ، وأخرى بالعارية ، ووقتاً في المذاكرة ، ومرة بالتنبيه على ما السلامة منه مختصة بالمعصومين - أي يُنبهون بعضهم على أدنى الأخطاء لا يسكت عن الأخطاء الكبيرة بل حتى الأخطاء الصغيرة اليسيرة الهينة يُنبه رفيقه عليها ؛ لأنه يحب لرفيقه أن يتخلى ما يستطيع من العيوب والأخر يفعل مع رفيقه أيضاً كذلك ، ويجمل كل واحد منهم الآخر بقلمه ولسانه ويوجه ما ظاهره القبيح من قول أو فعل بالتوجيه المرضي حتى يصرفه عن

ما يُخالفه ، ويثني من تأخرت وفأته على صاحبه : الثناء الجميل ، وربما يرثيه إن أحسن ، ولتلبسهم بذلك : كانت لهم جلالة ووجاهة وفيهم كثرة _ عليهم رحمة الله _ هذه أخلاق طلبة العلم والرفقاء الذين كانوا مع الحافظ ابن حجر _ يرحمه الله _ .

ثامناً : تلاميذ الحافظ ابن حجر :- تتلمذ على يد الحافظ ابن حجر الكثير من طلبة العلم فقد كان رحالة عصره يرحل الناس إليه من جميع الأقطار ، فمن كبار تلامذته : السخاوي : وهو أشهر تلامذته .

وبرهان الدين البقاعي الإمام المفسر صاحب الدرر " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " وغيره من المصنفات .

وشيوخ الإسلام : زكريا الأنصاري ، والكمال بن المهام الحنفي صاحب كتاب فتح القدير " ، وقاسم بن فطوبغا الحنفي ، والتقي الشمي وهو : إمام عصره بعد الحافظ ابن حجر ، وله مصنفات متعددة ، وابن تغري بردي المؤرخ المشهور ، والبوصيري المحدث المشهور صاحب اتحاف الخيرة المهرة " و " مصباح الزجاجة في شرح سنن ابن ماجه " وغيرها من المصنفات ، والكمال ابن أبي شريف وهو أيضاً من فقهاء الحنفية الذين لهم العناية بالحديث كذلك ، وغيرهم كثير .

تاسعاً : مصنفات الحافظ ابن حجر : كان الحافظ ابن حجر مُكثرًا من التصنيف ، مُبدعًا فيه ؛ ولكن كانت هناك مصنفات يعتزُّ بها غاية الاعتزاز نذكرها أولاً ثم نسرد بعضها في الفنون .

- المؤلفات التي كان يعتزُّ بها الحافظ ابن حجر ويذكرها صراحة أنها أحب المؤلفات إليه وأحبها لنفسه فمن مؤلفاته :

١ . فتح الباري " - في قمتها مع مقدمته هدي الساري - .

٢. "تبصير المنتبه وتحرير المشتبه" : وهو في علم المشتبه ، وضبط الأسماء والأنساب ، وعلم المؤلف والمختلف .
٣. "تهذيب التهذيب" .
٤. "لسان الميزان" .
٥. "تغليق التعليق" .
٦. "نخبة الفكر" . فنخبة الفكر من الكتب التي كان يعتز بها الحافظ غاية الاعتزاز .

وبالنسبة لـ "تغليق التعليق" أحببت أن أقف عنده قليلاً ؛ لأنه ألفه وله (٣٠) سنة فقط ، وحين ألفه طار ذكره بالآفاق ، وكان هو _ في الحقيقة _ أول كتابٍ أشهر الحافظ ابن حجر غاية الاشتهار ، وصار يُعرف بالإمام من خلال كتاب "تغليق التعليق" المطبوع في خمس مجلدات ؛ حتى كتب له شيوخه عليه عباراتٍ في غاية التبجيل والتعظيم ، أحببت أن أنقل لكم بعض هذه العبارات كتبوا على تغليق التعليق عبارات في الثناء على الحافظ ابن حجر ، فمن ذلك : قولُ شيخه البلقيني على الجزء الأول من "تغليق التعليق" _ تذكر أن هذا كلام البلقيني للحافظ ، وللحافظ ثلاثين سنة _ يقول : (جمع الشيخ الحافظ المحدث المتقن المحقق : شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن _ الفقير إلى الله تعالى الفاضل المغفور _ نور الدين : علي إلى أن يقول : نفع الله تعالى به وبفوائده .. آمين) .

ويقول الحافظ العراقي أيضاً على الجزء الأول من "تغليق التعليق" يقول : (تأليف صاحبنا الشيخ الإمام _ قال صاحبنا من باب التواضع وإلا فهو تلميذه _ المحدث الحافظ المتقن الرّحال : أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشهير [بابن

حجر [نفع الله بعلومه] ، وكتب أيضاً على المجلد الثاني : (جَمَعَ الشيخ المحدث الحافظ المتقن المفيد المجيد : شهاب الدين ، نفع الله بعلومه وفوائده) ، إلى غير ذلك من الثناء الكبير الذي ذكره أهل العلم في الحافظ ابن حجر وعلى كتابه " تغليق التعليق " خاصةً .

بلغت مصنفاته (٢٨٩) كتاباً . فمن كتبه المشهورة :

أولاً : في [التفسير] : **العجَابُ في بَيَانِ الأسباب** " وهو من أجل كتب أسباب النزول ، ولو أكمل لكان أجلها على الإطلاق ؛ لكن الحافظ توفي ولم يُتِمَّه .
ثانياً : في [الحديث] له مؤلفات كثيرة ، منها : ما سبق ، وأيضاً من كتبه المهمة في الحديث : **إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف الكتب العشرة** " و **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** " و **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار** " و **موافقة الخبر الخبر** " و **التلخيص الحبير** " و **تعريف أهل التقديس** " و **النكت** على كتاب ابن الصلاح " .

ثالثاً : في [التراجم] : **تهذيب التهذيب** " و **تعجيل المنفعة** " و **نزہة الألباب في الألقاب** " و **الإصابة في تمييز الصحابة** " و **الدُرَرُ الكامنة في أعيان المائة الثامنة** " و **رَفْعُ الإِصْرِ عن قُضَاةٍ مَضَر** " .

رابعاً : في [المشيخات والأئبات] له كتب متعددة ، من أهمها : **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس** " ، **المعجم المفهرس** " ، وله كتب كثيرة في المشيخات .
خامساً : في [الفقه] : **كتاب بلوغ المرام** " وهو : في بيان فقه الحديث ، أحاديث مرتبة على أبواب الفقه واختار أن تكون أصولاً في أبوابها .

سادساً : وله كتاب في [الأصول] : سماه **الذخيرة** " النكت على جمع الجوامع " ،
جمع الجوامع : لتاج الدين السبكي ، له عليه حواشي ونكت وفوائد ، وهو من مؤلفات
الحافظ ابن حجر ، وله الكثير من الكتب المتعددة .

عاشراً : وفاته : توفي الحافظ ابن حجر _ كما سبق _ سنة (٨٥٢) هـ ، وذلك في
ليلة السبت : المسفرة عن (٢٨) من ذي الحجة .

وقد حصلت له خاتمة حسنة عند وفاته : فقد كان عنده سبطه _ ابن بنته _ وبعض
أصحابه يقرؤون القرآن فلما بلغ أحد القراءة : قول الله تعالى في سورة يس ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ
رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] : فاضت روح هذا الإمام فرحمه الله .

كان وقع المصيبة على أهل زمانه بوفاته : عظيم جداً ، وكانت جنازته مشهودة ، وغُلِّقَتِ
الأبواب ، والأسواق والدكاكين ، يقول السخاوي : **الذخيرة** (لم يبق أحد من أهل مصر - إلا
خرج لتشييع جنازته) ؛ حتى أن السخاوي يقول : (لا أعلم بعد جنازة شيخ الإسلام ابن
تيمية جنازة أكثر حضوراً واحتفالاً : من تشييع جنازة الحافظ ابن حجر) . فرحمة الله على
الحافظ ابن حجر ، وأجزل مثوبته ، وجزاه عن الإسلام وعلومه خير الجزاء .

المقدمة الثانية : { التعريف بنزهة النظر }

□ أولاً : الكلام عن النخبة ؛ لأن نزهة النظر : هي توضيح لنخبة الفكر ، كما
سماها الحافظ ابن حجر فكتاب النزهة اسمه : " نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في
مصطلح أهل الأثر " فالنخبة ألفها الحافظ ابن حجر في سنة : (٨١٢) هـ وهذا ما نص عليه
السخاوي ، والأدلة على صحة هذا النقل كثيرة ؛ أقول ذلك : لأن أحد العلماء وهو الأمير
الصنعاني نقل أن الحافظ ألف النخبة سنة : (٨١٧) هـ وهذا لا يصح ، والصحيح : أنه ألف
النخبة سنة : (٨١٢) أي : وللحافظ (٣٩) سنة ، ومن حين أن ألف النخبة اشتهرت أيضاً

وطارت في الخافقين ؛ حتى قام بنظمها أحد شيوخه : لما رأى النخبة أعجب بها غاية الإعجاب قام بنظمها هذا الشيخ ، وهو كمال الدين الشمني المتوفى سنة (٨٢١) هـ ، أي : أنه توفي قبل الحافظ بـ (٣١) سنة ، ونظم النخبة في سنة (٨١٧) هـ في كتاب سمّاه : **نظم الرتبة في نظم النخبة** " وهو مطبوع ، ثم قام هو نفسه _ كمال الدين الشمني شيخ الحافظ بن حجر _ قام بشرح نظمه على النخبة في كتاب سمّاه : **نتيجة النظر في شرح نظم نخبة الفكر** " ، وقام ابن كمال الدين الشمني _ وهو تلميذ الحافظ بن حجر الذي ذكرناه آنفاً وهو : تقي الدين الشمني _ قام بشرح نظم أبيه ؛ لأنه قال : إن شرح أبي كان مختصراً فأحببت أن أكتب شرحاً متوسط الحجم أكثر طولاً من نظم أبيه ؛ فألف شرحاً لنظم أبيه سمّاه : **العالي الرتبة في شرح نظم النخبة** " .

□ ثانياً : سبب تأليف النزهة : لما ألف الحافظ ابن حجر النخبة وقام شيخه هذا بنظمها وشرّحها : لاحظ الحافظ بن حجر أن في شرح شيخه للنظم وفي النظم شيئاً من الخلل ، وأنه فهم بعض كلامه على غير مراده ؛ وطلب منه أحد شيوخه : أن يشرح النخبة ، وهذا الشيخ هو الذي طلب من الحافظ أن يؤلف النخبة وهو : (شمس الدين الزركشي - واسمه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الصمد الزركشي - البغدادي ، نزيل القاهرة المتوفى سنة (٨١٣) هـ ، ومن يوم أن ائتم الحافظ تأليف النخبة سنة (٨١٢) هـ ، اطلع عليها شيخه الزركشي فطلب منه أن يشرحها ، فتوفي قبل أن يشرح الحافظ النخبة ، فما نشط الشيخ الحافظ إلى تأليف النزهة إلا في سنة (٨١٨) هـ ، أي : بعد شرح شيخه للنظم بسنة واحدة ؛ لأن شرح كمال الدين الشمني كان سنة (٨١٧) هـ .

□ ثالثاً: تسمية الكتاب الصحيحة : اسم هذا الكتاب : " نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر " ؛ لأن هذا الكتاب طبع بأكثر من اسم ، وهذا اسمه الصحيح .

□ رابعاً: مميزات كتاب النزهة :

أولاً: (جودة الترتيب الميسر للفهم والحفظ) : فقد رتب الحافظ ترتيباً مبتكراً لم يسبق إليه أحد ، وقد أشار بذلك الحافظ وصرّح في مقدمته هو نفسه للنزهة : أن الترتيب الذي سار عليه في النزهة ترتيبٌ مبتكرٌ لم يسبق إليه . وقد بنى هذا الترتيب على ما يسميه علماء المنطق : بطريقة التقسيم العقلي الحاصر ، وهو أن يذكر الشيء ونقيضه أو شبه نقيضه ، نقيضه مثل : (موجودٌ ومعدومٌ) كما تقول العدد زوجي وفردى _ أي : الأعداد إما أزواج أو أفراد _ والفرد والزوج ليسا نقيضان ؛ لكنهما يشبهان النقيضين ، ولذلك تجد أن الكتاب يذكر الشيء ومقابله دائماً ، فسندخل _ إن شاء الله _ وترون أن من أوائل ما يتدنى به : أن الأخبار تنقسم إلى متواتر وآحاد ، ثم يتكلم عن المتواتر ، ثم يأتي للآحاد ويقول والآحاد لها ثلاثة أقسام ماتخرج عنها كذا وكذا وكذا ، ثم الآحاد إما مقبول وإما مردود : المقبول ينقسم إلى قسمين : صحيح وحسن ، والصحيح ينقسم إلى قسمين ، والحسن ينقسم إلى قسمين ، يعني الطالب لو درس النزهة بهذا الترتيب : يُصبح عنده تصور كامل شامل لعلوم الحديث بطريقة منظمة مرتبة تُسهّل الفهم ، وتُصور أقسام علوم الحديث تصويراً جيداً في ذهن .

الميزة الثانية : (اختصارها وتحريرها وشمولها لمباحث هذا العلم) أي أن لكل

واحد من هذه ؛ ميزة :

• الاختصار : فالنزهة مختصرة بلا شك .

- تحريرها : حيث إنها محررة ومتقنة ، وبذل فيها الحافظ ابن حجر غاية جهده .
- شمولها : فهي شاملة لمباحث هذا العلم ، فمباحث النزهة تفوق كتاب علوم الحديث لابن الصلاح على أن كتاب ابن الصلاح أكبر حجماً بمرات ؛ لكن المصطلحات والقضايا التي ذكرها الحافظ في النزهة أشمل وأكثر عدداً من المباحث التي ذكرها الحافظ ابن الصلاح .

الميزة الثالثة : (ربط أنواع علوم الحديث ببعضها البعض) وذلك من خلال بيان علاقة الأنواع ببعضها _ كما قلنا _ ذُكر الشيء المقابل ، هذا يدعوا إلى ربط الأنواع ببعضها ، وإدراك علاقة كل نوع بالآخر .

الميزة الرابعة : (أنها تمثّل اجتهاداً ورأياً لإمام من أئمة الحديث : له مكانته الكبيرة ، ولرأيه وزنٌ عظيم) هذه النزهة تعتبر مختصر رأي الحافظ ابن حجر في علوم الحديث ، فإذا كنت تُريد أن تعرف رأي الحافظ ابن حجر في مصطلح الحديث وخلاصة اجتهاده وتحريره : فستجدها في هذا الكتاب ، له كتاب " النكت على ابن الصلاح " : تعرّض لمسائل علوم الحديث ، مسائل في كتب متعددة ؛ لكن خلاصة آرائه هي المذكورة في " النزهة " .

ويؤكد ذلك _ لأنه قد يُقال أنه قد أُلّفه في بداية عمره ؛ لعله تغيرّ اجتهاده في بعض المسائل _ : أنه انتهى منه عام (٨١٨) هـ ، وأنه أقرأ هذا الكتاب قراءة بحث ودرس قبل وفاته بسنة واحدة ، أي : سنة (٨٥١) هـ ، وقرأ عليه أحد العلماء ، وهو ابن الأخصاصي عالمٌ معروفٌ دمشقيٌّ ، ونسخته _ أي ابن الأخصاصي _ هذه التي بخط يده وعليها توقيع الحافظ ابن حجر ، يقول الحافظ ابن حجر : قرأه عليّ فلان في سنة كذا ؛ هي التي طُبِعَ عليها الكتاب في طبعة [نور الدين عتر] المعتمدة على هذه النسخة التي قرأت على الحافظ

ابن حجر في سنة : (٨٥١) وعليها توقيع الحافظ ابن حجر بخط يده ، ونحن نقصد من ذلك : بيان أن الحافظ ابن حجر استمر على آرائه في النزهة إلى آخر حياته ؛ حتى لا يقول أحدٌ لعله تغير في مسألة كذا ، لا ، هذه اجتهادات الحافظ ابن حجر استمر عليها إلى آخر حياته .

□ خامساً : عناية العلماء بهذا الكتاب :

ما ألفت النزهة _ كما قلنا _ حتى اعتنى بها العلماء عناية كبيرة جداً . ووصف الحافظ ابن حجر كتاب ابن الصلاح بوصفٍ في مقدمة النزهة : ما أشبه هذا الوصف بنزهة النظر ، يقول الحافظ ابن حجر في بداية النزهة : (فلا أحصي - كم ناظمٍ له ومختصر - ، مستدركٍ عليه ومقتصرٍ ، ومعارضٍ له ومُتَصِّر) يقول الحافظ هذا على كتاب ابن الصلاح ، ونحن نقول على النزهة نفس هذه العبارة : فلا يُحصى كم ناظم لها ومختصر - ، ومستدركٍ عليها ومقتصر ، ومعارض لها وممتصر ، وسنأتي عليها بنماذج من كل فرعٍ من هذه الفروع :
الفرع الأول : { النظم } : (١) (كمال الدين الشُّمْنِي) وهو شيخ الحافظ .

(٢) (الطُّوفِي) المتوفى سنة (٨٩٣) هـ ، وهو من تلامذة الحافظ ابن حجر .

(٣) نظمها جماعة كثيرة من أهل العلم ، من أواخرهم : (الأمير الصَّنْعَانِي) نظم النخبة في كتابه المسمى " قصب السكر " ، وشرَّحُه في " إسبال المطر " .

الفرع الثاني : { الاختصار } : فمن اختصرها _ مع أنها اختُصِرَتْ ؛ ولكن أيضاً العلم ما زال ينقص والناس ما زالوا في حاجة للاختصار _ جماعة من العلماء ، منهم : (عبد الوهاب بن أحمد الأحمدي) . وممن قام بشرح المختصر : (محمود بن شكري الألوسي) في كتابٍ مطبوع اسمه : " عقد الدرر " .

الفرع الثالث : { الاستدراك } : (يعني : الإضافة أو التحسين) .

والمستدركون على النزاهة جماعة ، منهم :

١ . (رضي الدين ابن الحنبلي الحنفي) في كتابه " قصم الأثر " .

٢ . (محمد مرتضى الزبيدي) صاحب " تاج العروس " وغيره من الكتب ، في

كتاب سمّاه : " بُلْغَةُ الأريب في مصطلح آثار الحبيب " .

الفرع الرابع : { الاقتصار } : هناك مؤلفات اقتصرت على النزاهة تقريباً ، كل الذي

فَعَلَتْهُ : أنها وضعت عناوين رَتَبَتْ النزاهة بعض الشيء ، واقتصرت على ذلك : ما أضافت

ولا اختصرت ؛ بل ربما أضافت عليها بعض الأشياء اليسيرة من أمثلة هذا وغيرها . من

الكتب المعاصرة في ذلك _ وهي من الكتب التي قد تُعِينُكم على فهم الكتاب _ : كتاب "

تيسير مصطلح الحديث " للشيخ : (محمود الطَّحَّان) . وهو في الحقيقة عبارة عن إعادة

صياغة لنزاهة النظر . وأيضاً كتاب " تسهيل شرح نخبة الفكر " (لمحمد أنور البدخشاني

الهندي) .

الفرع الخامس : { المعارضون } : قد تستغربون أن من أكثر المعارضين للحافظ ابن

حجر اثنان من تلامذته : الأول : (قاسم بن بَطْلُبَغَا الحنفي) . والثاني : (الكمال ابن

شُريح الحنفي) في حاشيتيهما على نزاهة النظر .

ومن مزايا هذه الحواشي : أنهم كانوا يُناظرون الحافظ ابن حجر ، ويذكرون هذه

المناظرة في الحاشية ، يقولون : قلنا للحافظ ابن حجر كذا فأجاب بكذا ، وربما أجابوا

ورَدُّوا على جواب الحافظ في بعض الأحيان ، وربما اقتنعوا بجواب الحافظ ابن حجر

وَقَيَّدُوهُ كما هُوَ : في هذه الحواشي ، وهما حاشيتان مطبوعتان ، طُبِعَتَا قَرِيباً .

الفرع السادس : { المنتصرين } : منهم : (الحافظ السخاوي) في كل كتبه في علوم الحديث وخاصة : " فَتْحُ الْمُغِيثِ " فإنه لا يكاد يذكر رأياً للحافظ ابن حجر ويذكر الانتقاد عليه : إلا ويدافع عن رأي الحافظ ابن حجر وَيَتَّبَعُهُ .

الفرع السابع : { الشُّرَاحُ } : الشرح قد يتضمن استدراكاً ، وقد يتضمن اعتراضاً ، وقد يتضمن انتصاراً ، بالإضافة إلى : فَكُّ التراكيب ، وفهم المعاني . من هذه الشروح :

١ . وهو من أهمها كتاب " اليَواقِيْتُ والدُّرَرُ " (للمناوي) المتوفى سنة (١٠٣١) هـ ، وهو مطبوع في مجلدين للحافظ المناوي .

٢ . " مصطلحات أهل الأثر على شرح نخبة الفكر " (لمُلاً علي القاري) _ المتوفى سنة (١٠١٤) هـ _ المطبوع باسم : " شرح شرح نخبة الفكر " .

٣ . " إمعان النظر " (للنَّصْرَبُورِي) وهو من علماء القرن الحادي عشر .

٤ . " قَضَاءُ الوَطَرِ من نزہة النظر " (لإبراهيم بن حسن اللقاني) .

٥ . " لقط الدُّرَرِ شرح نخبة الفكر " (لعبد الله حسين خايط السمين) وهو من علماء القرن الرابع عشر ، من علماء الأزهر .

٦ . " بهجة النظر " (لأبي الحسن السِّنْدِي) _ المتوفى سنة (١١٣٨) هـ ، وهو مطبوع أيضاً .

وكل هذه الكتب وغالبها مطبوع ، وقد اعتنيتُ بذكر ما هو مطبوعٌ ؛ حتى يُمكن أن يُستفاد منها وتُقتنى لمن أراد ذلك . (أ.هـ)

المقدمة الثالثة : { سياق إسناد الشارح إلى الكتاب }

أخبرنا إجازة: [شيخنا (محمد بن عبد الله الصومالي) - يرحمه الله -، (وأبو
 ثراب الظاهري)]: كلاهما عن والدي الثاني وهو المحدث العالم (أبو محمد عبد الحق
 ابن عبد الواحد بن محمد بن الهاشم) - المدرس في الحرم المكي الشريف - عن السيد
 (نذير حسين بن جواد علي الدهلوي) - المتوفى سنة (١٣٢٠) هـ، وكان من كبار علماء
 الهند وخاتمة مُسنديها - عن [(عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري)
 الحفيد الدمشقي - المتوفى سنة (١٢٦٢) هـ، والمفتي (عبد اللطيف بن علي بن
 عبد الكريم البيروتي الدمشقي) - المتوفى سنة (١٢٦٠) هـ -]: كلاهما - أي عبد
 الرحمن الكزبري وعبد اللطيف البيروتي - عن (مصطفى بن محمد بن رحمة الله
 الأنصاري الحنفي الدمشقي ثم المدني) الشهير بالرحمة وبالأيوبي - المتوفى سنة
 (١٢٠٥) هـ، عن: (عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي) العالم المشهور - المتوفى
 سنة: (١١٤٣) هـ، عن (نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد بن
 رضي الدين محمد القرشي العامري الغزي الدمشقي) - المتوفى سنة (١٠٦١) هـ، عن (والده
 بدر الغزي)، عن [شيخ الإسلام: (زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري السنيكي) - المتوفى
 سنة (٩٢٦) هـ، و (عبد الحق بن محمد السمباطي القاهري) - المتوفى سنة (٩٣١) هـ، و
 إبراهيم بن علي بن أحمد القلقشندي) - المتوفى سنة (٩٢٢) هـ -]: ثلاثتهم عن: [الحافظ ابن حجر
 - يرحمه الله -].

□ إسناده آخر: وأخبرنا إجازة: [(عبد الوهاب بن عمر دؤكري) - يرحمه الله -، و
 (محمد بن عبد الهادي المنوني) - يرحمه الله -، و (محمد أبو خبزة) - حفظه الله -
 وغيرهم]؛ ثلاثتهم عن: (عبد الحي الكتاني) من علماء المغرب - المتوفى سنة (١٣٨٢)
 هـ -، عن (عبد الله بن درويش السكري الدمشقي) - المتوفى سنة (١٣٢٩) هـ، عن [(

عبد الرحمن الكزبري (الحفيد ، و (عبد اللطيف البيروتي) و (سعيد بن حسن بن أحمد الحلبي) _ المتوفى سنة (١٢٥٩ هـ) _ ؛ ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ : (مصطفى بن محمد بن رحمة الله) به ، أي : بالإسناد السابق .

وهذا إسناد صحيح متصل بالحافظ ابن حجر ؛ بل يقول العلامة : أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي _ صاحب كتاب " عون المعبود " _ في كتاب له اسمه : " الوجازة في الإجازة " يقول عن هذا الإسناد وأسانيده أخرى رواها من طريق شيخه نذير حسين ؛ لأن نذير حسين شيخه ، أما بالنسبة لي أنا فالنذير حسين بيني وبينه : اثنان ، يقول شمس الحق آبادي _ المتوفى سنة (١٣٢٩ هـ) _ عن هذا الإسناد وأسانيده أخرى : (هذه الأسانيد مع علوّها : جليلة القدر ، رفيعة الشأن ؛ لأن علماءها بالفعل علماء معروفون مشتهرون ، لهم تراجم متعددة في كثير من الكتب ، وكانوا من أعيان عصرهم وعلماء عصرهم) . هناك أسانيد أخرى أعلى من هذا الإسناد ؛ لكن لا تخلوا من مُعَمَّرٍ مَجْهُولٍ أو كَذَابٍ مُتَهَمٍ أو ما شابه ذلك ، ولكن اخترت هذا الإسناد ؛ لأنه إسنادٌ صحيحٌ من أعلى ما يَصِحُّ إلى الحافظ ابن حجر _ يرحمه الله _ في هذا الزمان . هذا هو إسناد هذا الكتاب .

الحديث المسلسل بالأولوية :

قبل البدء بالكتاب ؛ أحب أن أسمعكم متن الحديث المسلسل بالأولوية ؛ حتى يصحَّ لكم أن ترووا هذا الحديث عني ، ويكون أول حديث سمعتموه مني على الإطلاق ، ألا وهو : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ بنفس هذا الإسناد السابق ؛ وخاصةً عن محمد أبو خُبْزَة ، مسلسلٌ منِّي إلى الحافظ ابن حجر _ يرحمه الله ، فهو أولُ

حديث سمعته من أبي خبزة ، وهو أول حديث سَمِعَهُ من عبد الحق الكتّاني ، إلى آخر
الإسناد ، إلى الحافظ ابن حجر ، ثم منَ الحافظ ابن حجر... إلى سفيان بن عيينة ، ثم من
سفيان ... إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى النبي × .

(أ.هـ)

